

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

عن العدد ١٥ ملبا

اهتمامات

يتفق عليها مع الإدارة

# المجلة

بمكة الدكتور محمد عبد الوكيل والفرق

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٣٣٩٠

العدد ٥٥٦ « القاهرة في يوم الإثنين ٤ ربيع أول سنة ١٣٦٣ - الموافق ٢٨ فبراير سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

## ١٥ - دفاع عن البلاغة

٧ - الأسلوب

نعود إلى حديث البلاغة بمد أن صرفتنا عنه صوارف من توزع البال وفتور الطبع واعتلال الجسد . وكانت النية أن نترك بقية هذا الدفاع لينشر بجملة في كتاب ؛ ولكن رغبة القراء ما زالت تلح على هذه النية حتى تنازلت القلم وأخذت أكتب : سبق القول في الصفة الأولى من صفات الأسلوب الجامعة الثلاث وهي « الأصالة » وما تضمنته من صفات الدقة والصحة والصدق والطبيعية والوضوح<sup>(١)</sup> . وكلامنا اليوم في الصفة الثانية منها وهي « الوجازة » . وإذا كانت الأصالة هي الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق ، فإن الوجازة بإجماع الرأي هي حد البلاغة<sup>(٢)</sup> . وإذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات ، فإنها في بلاغة العربية أصل وروح وطبع . وأول الفرق بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية . يظهر ذلك في مثل قولك : ( قُتل الإنسان ) ، فإن الفعل في هذه الجملة يدل بصيغته المفعولة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل ،

(١) راجع العددين ٥٢٧ ، ٥٢٤ (٢) راجع العددين

٤٩٤ ، ٤٩٣

## الفهرس

- ١٨١ دفاع عن البلاغة ... : أحمد حسن الزيات ...
- ١٨٣ لقد هان هذا الخطب ... : الدكتور زكي مبارك ...
- ١٨٦ التعارف بين الأدباء ... : الأستاذ دريني خشبة ...
- ١٨٨ إيوان كسرى بين شامرون : الأستاذ حسن الأمين ...
- ١٩١ صلات عليية بين مصر والنظام : الأستاذ محمد عبد النبي حسن
- ١٩٣ نقل الأديب ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي
- ١٩٤ سجاد الأناضول ... : الدكتور محمد مصطفى ...
- ١٩٧ النسر ... [تصيدة] : الأستاذ عمر أبو ريشة ...
- ١٩٧ بين مبدئين ... : الأديب محي الدين صابر ...
- ١٩٧ خلود ... : الأديب زكريا الجبجوي ...
- ١٩٨ الثمر الجديد ... : الأستاذ الكبير « ا . ع »
- ١٩٩ زكي مبارك وإعجاز القرآن : الأستاذ محمد أحمد الفمراوى .
- ١٩٩ إلى الدكتور زكي مبارك ... : الأستاذ سهيل إدريس .
- ٢٠٠ معرض سجاد تركيا بدار ... } الآثار العربية .

وهي معان لا تستطيع أن تعبر عنها في لغة أوربية إلا بأربع كلمات أو خمس . وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيز ، والاقتصار على الجوهر ، والتعبير بالكلمة الجامعة ، والاكتفاء باللمحة الدالة ؛ كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق ، والإحاطة بالفروع ، والاهتمام بالملازمات ، والاستطراد إلى المنااسبات ، والميل إلى الشرح . ولم تعرف العربية التفصيل والتطوير واللمظ إلا بعد اتصالها بالآرية في العراق والأندلس . ولا أقصد من وراء ذلك إلى تفضيل لغة على لغة ، أو ترجيح أسلوب على أسلوب ، فإن الاختلاف اختلاف جنسية وعقلية ومزاج . والتفصيل إذا سلم من اللغو كان كالإجمال إذا برى من الإخلال ؛ وكلاهما حسن في موقعه بليغ في بابه . وقد يكون التفصيل من الإيجاز إذا قُدِّرَ لفظه على معناه ؛ فإن الإيجاز الذي نمنيه أن يدل اللفظ على المعنى ولا يزيد عليه ؛ فإن كان ناقصاً عنه فهو إيجاز الحذف والقصر ، وإن كان مساوياً له فهو إيجاز التفسير والمساواة . إننا أقصد بذكر الإجمال والتفصيل إلى أن الأسلوب العربي الأصيل موسوم بالوجاهة من أصل النشأة ؛ لأنه أسلوب أمة صافية الذهن دقيقة الحس سريرة الفهم ، تشع بقوة ، وتبر بقوة ، وتفهم بقوة . وقوة الروح والقلب ، وقوة العقل والخلق ، تلازمهما قوة اللسان والقلم ، أي البلاغة . والبلاغة الإيجاز ، والإيجاز امتلاء في اللفظ ، وقوة في الحيك ، وشدة في التماسك . ولا ترى التجميع والتفكك والانتشار إلا حيث ترى الضعف في شيء من أولئك . وملاك الإيجاز غزارة المعاني ووضوحها في الذهن ، وطواعية الألفاظ وسرورها في اللسان . وإنما يكون النثر والترثرة ومضغ الكلام من جذب القرينة أو قلة العلم أو سقم الدوق أو نبوغ اللثة أو مجافاة الغرض . ومن الكلام المأثور : من ضاق عقله اتسع لسانه . اختصر في صفة واحدة صفات البلاغة في أساليب القرآن والحديث وأشعار الجاهليين وخطب الأمويين وكتب العباسيين ، فلن تكون هذه الصفة غير الإيجاز . اقرأ قوله تعالى في آخرة الطوفان : « رقيق يا أرض ابلئي ماءك ، ويا سماء اقلمي ، وغيض الماء ، وقضى الأمر ، واستوت على الجودي ، وقليل بعداً للقوم الظالمين » ، وقول الرسول (ص) في تقييد الحرية ،

وهو الذي أوتى جوامع الكلام واختصر له الكلام : « إن قوماً ركبوا سفينة فاقسموا ، فصار لكل رجل منهم موضع ، فنقر رجل منهم موضعه بفأس ، فقالوا له : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء . فإن أخذوا على يده نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا » ؛ ثم قول زهير في حروب عيس وذبيان :

رعوا ما رعوا من ظمهم ثم أوردوا غماراً تسيل بالرمح وبالدم  
— ققصوا أماناً بينهم ثم أصدروا إلى كلاً مستوئيل متوخم  
وقول معاوية لما أشته بنت عثمان وهي تشبهه على قتلة أبيها :  
« يا ابنة أخي ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً ،  
وأظهرنا لهم حلاً بحته غضب ، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد .  
ومع كل إنسان سيفه ، وهو يرى مكان أنصاره . وإن نكثنا  
نكثوا بنا ، ولا ندرى أعلينا يكون أم لنا : لأن تكون ابنة عم  
أمير المؤمنين ، خير من أن تكوني امرأة من عراض المسلمين »  
فهل تجد آية البلاغة في هذا الذي قرأت غير الإيجاز وما يصحبه  
من الجزالة والجلالة والبروز والسبك ؟ وهل تجد مصدراً لهذا  
— الإيجاز المطبوع غير القوى المشبوبة في النفوس والمقول والطباع ؟  
انحدر بعد ذلك رويداً إلى عهد الوهن والانحلال تجد التطويل  
وتواضعه من اللغو والحشو والسقط يزيد زيادة الضعف ، ويتقدم  
بتقدم الجهالة ، حتى تستقط به على كتب الدواوين وعهود السلاطين  
فتدهش أن يكون في خلق الله من يعلل مائة صفحة بالفقر  
والأسجاع ولا يعنى بها شيئاً

لذلك كان الإسهاب أول ما يصاب به ناشئة الكتاب ، لأن  
جهدهم القليل يضيق عن شرح الفكرة ، فيدورون حولها  
— مجتمين بالكلام الفوارغ والجلجول الجوف . ومن جناية الصحافة  
على الأسلوب أن أكثر كتابها يؤثرون السك على الكيف ،  
فيكثرون الصغير ، ويطولون القصير ، لأن الصحيفة تخرج كل  
يوم ، ولا يجوز أن يخرج بيضاء أو قد كان أحد شيوخ الصحافة  
يدبج مقالاً في نهريين طويلين كل صباح ؛ فإذا نظرت فيه على أن  
تقرأ سطرين وتترك أربعة بلغت آخره وقد حصلت من ثلثه

أحسن الزمان

( البقية على صفحة ٢٠٠ )